العلاقة التجارية بين الجنوب الجزائري والموانئ من خلال أعمال "كاريت CARETTE "

د./ عبد العزيز شهبي
المدرسة العليا للأساتذة
بوزريعة

تقديم

عاش "ارنست كاريت Ernest CARETTE" بين عام 1808 وعام 1890. كان ضابطا برتبة نقيب في سلاح الهندسة للجيش الفرنسي بالجزائر. كما كان عضوا باللجنة العلمية الجزائرية وكاتبا لها.

وظهرت أعمال "كاريت" في مجموعة الاستكشاف العلمي للجزائر خلال سنوات 1840-1841-1842، والتي نشرت بأمر من الحكومة الفرنسية [1]، وكانت تنقسم إلى خمسة أصناف :

1. العلوم التاريخية والجغرافية (16 مجلد)
2. العلوم الطبية (مجلدان)
3. الفيزياء العامة (مجلدان)
4. العلوم الفيزيائية والحيوانية والنباتية والجيولوجية (16 مجلد)
5. الآثار والفنون الجميلة (3 مجلدات)

فخص "كاريت" مجموعة العلوم التاريخية والجغرافية بجزأين هما :

- الجزء الأول يتمثل في : «دراسة للطرق التي يسلكها العرب بالجزء الجنوبي من الجزائر وعمالة تونس». وكان الهدف من تلك الدراسة، هو وضع خرائط جغرافية للطرق في تلك المنطقة.
- الجزء الثاني تمثل في : «بحوث في الجغرافيا وتجارة الجزائر الجنوبية». فكتب بالتفصيل عن حركة التجارة بين مختلف مدن الجنوب الجزائري، وكذا البضائع التجارية.

كما قدم "كاريت" في مجالات أخرى عدّة أعمال، من أهمها : «من تجارة الجزائر مع إفريقيا الوسطى وبلدان البربر» [2].

ولا شك أن الطرق هي الرابط بين المناطق المختلفة، وعليها تقوم حركة التجارة الداخلية والخارجية، كما يرتبط بعض هذه الحركة بالموانئ البحرية على الساحل الشمالي، لاسيما من حيث الواردات والصادرات.

وبذلك كانت أعمال "كاريت" مهمة، وجديرة بالدراسة والتقديم في هذا المجال.

الطرق

" Etude des routes suivies par les arabes, dans la partie méridionale de l'Algérie et de la Régence de Tunis " [3]

قسم "كاريت" الجزء الأول من أعماله إلى نقاط انطلاق ووضع لها أرقام. ويمكن أن نختصر المراكز الكبرى وارتباطها بالشمال الذي يصلها إلى الموانئ.

نقطة الانطلاق رقم 9. تخص بسكرة (ص 58)

يقول "كاريت" : نعلم أن بسكرة حاليا هي مستعمرة من طرف الفرنسيين، وموقعها إذا هو محدد بدقة. ونحن هنا نعطي نتائج الدراسات التي وُضعت بعد الاحتلال، كمعطيات حقيقية، لمعرفة بعض المحطات الرابطة.

ثم يقوم بعرض التفاصيل كالتالي :

محطات الوصول : 1. الجزائر عن طريق بوسعادة. .....117 مرحلة

عن طريق المسيلة. ..... 98 "

2. قسنطينة. ..... 59 "

3. سطيف. ..... 52 "

4. تبسة. ..... 73 "

أولا من بسكرة إلى الجزائر (ص 59)

عموما، يوجد طريقان يصلان من بسكرة إلى الجزائر

فالطريق الأول يمر جنوبا على بوسعادة

والطريق الثاني يمر شمالا على المسيلة

1) من بسكرة إلى بوسعادة : (ص 59 – 63)

يقوم "كاريت" بعرض مفصل للمراحل من حيث العدد وأسماء الأماكن والمحطات ويقسم المسافة بين بسكرة وبوسعادة على ثلاث

محطات بمختلف مراحلها، فطريق الشرق من بسكرة إلى مدوكال يحدد بـ22 مرحلة.

ويمر المسافرون المتجهون عموما من بسكرة إلى مدوكال، بالأوطاية والحمام، وهما محطتان في الطريق من بسكرة إلى قسنطينة.

ثم يقوم بتقسيم الطريق بين بسكرة ومدوكال إلى محطات ومراحل. كما يقوم بتحليل الطريق المؤدي من بسكرة إلى بوسعادة عن طريق مدوكال، ويستخلص أنه يحتوي على 51 مرحلة.

بينما المساحة بين بسكرة وبوسعادة عن طريق الوسط تقدر بـ49 مرحلة

2) من بسكرة إلى المسيلة : (ص 63 – 64)

لا يوجد إلا طريق واحد يمر على مدوكال وعين الكلبة، ويتكون من 22 مرحلة.

ثم يعطي "كاريت" تفاصيل تلك المراحل.

3) من بوسعادة إلى الجزائر : (ص 64- 65)

- من بوسعادة إلى سيدي عيسى بن محمد = 21 مرحلة
- من سيدي عيسى إلى سور الغزلان = 11 مرحلة
- من سور الغزلان إلى حمزة (البويرة حاليا) = 10 مراحل
- من حمزة إلى وادي الزيتون = 5 مراحل

- من وادي الزيتون إلى الجزائر = 21 مرحلة
- النتيجة من بوسعادة إلى الجزائر = 68 مرحلة

كما يشرح تفاصيل هذه المراحل.

4) من المسيلة إلى الجزائر : (ص 66- 67)

يوجد طريقان من المسيلة إلى الجزائر، أحدهما يصل إلى سيدي عيسى وهو طريق الغرب، والآخر وهو طريق الشرق يمر على النوارة، ويلتقيان في حمزة.

- طريق الغرب من المسيلة إلى سيدي عيسى = 12 مرحلة
- المسافة بين المسيلة وحمزة عن طريق سيدي عيسى = 33 مرحلة
- طريق الشرق من المسيلة إلى حمزة عبر النوارة = 28 مرحلة

حوصلة

1. الطريق من بسكرة إلى الجزائر المار ببوسعادة هو كالتالي = 117 مرحلة :

بوسعادة. .....49 مرحلة

سيدي عيسى. ....21 "

حمزة. .....21 "

الجزائر. .....26 "

2. الطريق من بسكرة إلى الجزائر، مرورا بالمسيلة هو كالتالي = 98 مرحلة :

المسيلة. .....39 مرحلة

سيدي عيسى. ....12 "

حمزة. .....21 "

الجزائر. .....26 "

ثانيا : من بسكرة إلى قسنطينة : (ص 68 – 75)

يوجد طريقان رئيسيان يصلان من بسكرة إلى قسنطينة، فالطريق الأول يمر بباتنة والقنطرة.

والطريق الثاني يمر بجبل الأوراس، ولكنه قليل العبور، بسبب القبائل التي تعيش في الجبال، وتجعل الطريق غير آمن لمسافرين معزولين.

1- **الطريق من قسنطينة إلى بسكرة عبر القنطرة** = 63 مرحلة، وهو كالتالي :

الانطلاق من قسنطينة : - مول الاصنام. .....24 مرحلة

- باتنة. .....7"
- مرجة الاكسور. .....10"
- القنطرة. .....5"
- لوطاية. .....7"
- بسكرة. .....10"

2- الطريق من قسنطينة إلى بسكرة عبر الأوراس،

يقع إلى الشرق من الطريق السابق، ويمر بتزولت، ومنعة، وجمورة والبرانيس، وتتراوح مسافته بين 65 و59 مرحلة حسب فرعي الطريق.

كما يشرح "كاريت" تفاصيل هذه الطرق والمسافات بين المحطات.

ثالثا : من بسكرة إلى سطيف : (ص 75 – 81)

يمر الطريق من سطيف إلى بسكرة عبرة طبنة أو مدوكال.

1. طريق طبنة : تتراوح مسافته بين 52 و47 مرحلة، حسب فرعي الطريق.
2. طريق مدوكال : تحدّد فيه المسافة بين سطيف وبسكرة بـ66 مرحلة

رابعا : من بسكرة إلى تبسة : (ص 81- 89)

يمر الطريق من بسكرة إلى تبسة عبر خنقة سيدي ناجي

1- من بسكرة إلى خنقة سيدي ناجي

توجد ثلاثة طرق من بسكرة إلى خنقة سيدي ناجي، فالأول يمر بتهوذا، والثاني يمر بقرطة، والفرع الثالث وهو الأطول، يقع جنوبي الفرعين السابقين، محاذيا مجرى وادي جدي، إلى غاية حوش سيدي صالح. ثم يتجه إلى خنقة سيدي ناجي، عابرا باديس مثل الفرعين الآخرين، ومتبعا مجرى وادي العرب.

وحدّد المسافة بين بسكرة وخنقة سيدي ناجي كالتالي :

- من بسكرة إلى خنقة سيدي ناجي عبر تهوذا، وبادس = 21 مرحلة، كما يلي :

- تهوذا. .....5 مرحلة
- باديس. ....9 "
- الخنقة. .....7 "

- من بسكرة إلى خنقة سيدي ناجي عبر قرطة، وزريبة الواد، وبادس = 24 مرحلة، كالتالي :

- قرطة. .....4 مراحل
- زريبة الواد. ...10 "
- باديس. .....3 "
- الخنقة. .....7 "

- من بسكرة إلى خنقة سيدي ناجي عبر سيدي عقبة، وحوش سيدي صالح، وزريبة الواد، وبادس = 29 مرحلة وهي كالتالي :

- سيدي عقبة. .....4 مراحل
- حوش سيدي صالح. ...10 "
- زريبة الواد. .....5 "
- بادس. .....3 "
- خنقة سيدي ناجي. ...7 "

2- من خنقة سيدي ناجي إلى تبسة

توجد أربعة طرق تؤدي من خنقة سيدي ناجي إلى تبسة، كالتالي :

- الطريق الأول يعبر خيران وسبيخة النمامشة، ومسافته = 36 مرحلة
- الطريق الثاني يعبر جلال والسبيخة، ومسافته = 42 مرحلة
- الطريق الثالث يعبر جلال وسيدي عبيد، ومسافته = 52 مرحلة
- الطريق الرابع يعبر بودخان وسيدي عبيد، ومسافته = 45 مرحلة

النتيجة : وبهذا تكون المسافة الاجمالية بين بسكرة وتبسة = 73 مرحلة

وقد شرح "كاريت" تفاصيل الطرق والمسافات والمحطات ، وتكلم عن المحطات القديمة، وأجرى مقارنات، ووضع تعليقات.

نقطة الانطلاق رقم 11

من خنقة سيدي ناجي إلى تزولت (ص 97)

يمر الطريق من خنقة سيدي ناجي إلى قسنطينة بخيران. وتكون المسافة من خنقة سيدي ناجي إلى خيران 9 مراحل، ومن خيران إلى قسنطينة 18 مرحلة، وبالتالي تكون المسافة الإجمالية 27 مرحلة.

نقطة الانطلاق رقم 55

تعتبر تقرت عاصمة وادي ريغ. (ص 220- 225)

1) **من تقرت** وصولا إلى : - بسكرة. .....46 مرحلة

- سيدي خالد. .....50 "
- الفيض. .....43 "
- دمّد. .....74 "

2) يمر الطريق **من تقرت إلى بسكرة** عبر قرى وادي ريغ وصولا إلى المغير، ومسافته 26 مرحلة.

ومن المغير إلى بسكرة، توجد ثلاثة طرق هي :

- طريق الوسط. .....18 مرحلة
- طريق الغرب يعبر مليلي. .....24 مرحلة
- طريق الشرق يعبر سيدي عقبة. ....20 مرحلة

ويذكر "كاريت" جميع القرى والأماكن التي تعبرها الطرق ويحدد المسافات مع التعليقات.

3) من تقرت إلى سيدي خالد. (ص236 – 237)

يمر الطريق عبر المغير، وتقدر المسافة بـ50 مرحلة – مع تفاصيل كثيرة

نقطة الانطلاق رقم 56 :

من **تماسين إلى تقرت**، تقدر المسافة بـ3 مراحل

نقطة الانطلاق رقم 57 :

من **كوينين** (إحدى القرى الرئيسية بوادي سوف) وصولا إلى (ص 242- 250)

- تقرت. .....24 مرحلة
- الفيّض. .....30 مرحلة (عبر قمار)
- بسكرة. .....51 مرحلة (عبر الفيض أو المغيّر)
- تبسة. .....91 مرحلة (عبر الجرف)

ويعطي "كاريت" كل التفاصيل الدقيقة للمحطات والأماكن

نقطة الانطلاق رقم 63

غرداية (عاصمة وادي ميزاب)

1)- من غرداية إلى تقرت = 82 مرحلة (ص 264)

وتتركب المسافة من توقرت إلى غرداية كالتالي : - بليدت عمر. .....5 مراحل

- الحجيرة. .....15 "
- نقوسة. .....17 "
- قرارة. .....27 "
- غرداية. .....18 "

2) من غرداية إلى بوسعادة (ص 271- 272)

يعبر الوطية وزكار، وتقدّر المسافة بـ 115 مرحلة

نقطة الانطلاق رقم 64

من **متليلي إلى غرداية** = 10 مراحل (ص 272)

نقطة الانطلاق رقم 65

من **القرارة إلى غرداية** = 18 مرحلة (ص 272-273)

نقطة الانطلاق رقم 67

ورقلة (عاصمة الواحات) (ص 276 – 297)

- من ورقلة إلى القرارة. ..... 24 مرحلة
- من ورقلة إلى نقوسة. ..... 6 مراحل

- من ورقلة إلى الأغواط يوجد طريقان : أحدهما يعبر غرداية= 94 مرحلة :

- من ورقلة إلى غرداية. .....32 مرحلة
- من غرداية إلى الاغواط. .....62 "

والطريق الآخر يعبر القرارة = 94 مرحلة :

- من ورقلة إلى القرارة. .....24 مرحلة
- من القرارة إلى بريان. .....16 "
- من بريان إلى الاغواط. .....54 "

التجـارة

Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie Méridionale " [4]"

وهي الجزء الثاني من أعمال "كاريت CARETTE" في هذا الموضوع.

قسم "كاريت" هذا الجزء إلى ثلاثة كتب، ويهم هذا الموضوع الكتابان الأول والثالث.

<u>الكتاب الأول</u> : مناطق التبادل. جاء فيه : (ص10- 88)

1) - تقسيم الجزائر الجنوبية إلى ثلاثة أقسام. وكل قسم يضم المناطق الرئيسية وموقعها الجغرافي، وعواصمها، وعدد مدنها وقراها، وإنتاجها، ونشاطها.

- **منطقة الصحراء الشرقية :**

تضم وادي سوف، ووادي ريغ، وتماسين، وورقلة، والزيبان، والأوطاية.

- **منطقة الصحراء الوسطى :**

تضم وادي ميزاب، وأولاد نايل، والحضنة.

- **منطقة الصحراء الغربية :**

تضم واحات القصور، وجبل عمور، وأعالي الشلف، وأولاد سيدي الشيخ.

2) – **العلاقات التجارية بين الجزائر وإفريقيا** (ص 89- 100)

3) – **الأسواق** (ص 101- 107)

منها : **واحات توات**، وما جاورها، والمتمثلة في : عين صالح، وأوغروت، وتيديكلت، وأقبلي، وأولف، وتيت، وتمنطيط، والزاوية، وانتبو، وتابركوزة، وتيميمون، وشروين

4) - **أسواق التوارق** (ص 107...)

<u>الكتاب الثالث</u> : مواد التبادل. جاء فيه :

1) – **الحركة العامة للسلع**

1- **الحركة الداخلية** : (ص 185- 195)

تقوم القوافل بنقل السلع بين جنوب الجزائر وشمالها، وبين الشرق والغرب، فتنقل إلى التل التمور وأقمشة الصوف، بينما تنقل إلى الصحراء الحبوب، والقطن، والأغنام، والسمن.

ويذكر "كاريت" جميع القبائل التي تقوم بهذه الحركة التجارية، والمناطق التي تنشط فيها، والأسواق التي تصل إليها في الشمال مثل : تلمسان، والمدية، وتيارت، وسعيدة، والشلف، وثنية الأحد، وجندل وبوغار، من ناحية الغرب. أما من ناحية الشرق فقسنطينة، ووادي العثمانية، وتلاغمة، وبوسعادة، والمسيلة.

وتعتبر بوسعادة حلقة وصل يوميا بين مدينة الجزائر وسكان الزيبان، فهي تتصل ببسكرة، وتقرت، والأغواط، ووادي ميزاب، ومفتوحة على المدية غربا، وقسنطينة شرقا.

2- **الحركة الخارجية** : (ص 196-204)

وهي العلاقات الجزائرية بعمالة تونس، والمملكة المغربية. ومناطق الجنوب.

يشير "كاريت" إلى أن المواد المستوردة من أوربا، والمتمثلة في النسيج، ومواد التجميل، والحديد، وغير ذلك من السلع، تأتي من إيطالية وفرنسا، ومالطا إلى المملكة المغربية عبر جبل طارق، وإلى عمالة تونس.

ومن هناك تجد المصنعات الأوربية طريقها إلى الجنوب الجزائري، كما تصله داخلة مباشرة من موانئ وهران، والجزائر، وبجاية، وسكيكدة، وعنابة.

ويلعب الجنوب الجزائري دور الوساطة في الحركة التجارية الخارجية، بين مناطق جنوب الصحراء، والمناطق الشمالية التي تعتبر أيضا مناطق وموانئ للسلع المصدرة إلى أوربا والمستوردة منها.

2) – **النقود، والمكاييل، والأسعار** : (ص 205- 213)

بيّن "كاريت" تعدد النقود المستعملة، واختلاف المكاييل والأسعار باختلاف المناطق في الجنوب الجزائري.

3)– **المنتوجات الرئيسية للجزائر الجنوبية**

1- **زيت الزيتون** : (ص 214-216)

ينتج الزيتون في حدائق بسكرة، والسفوح الجنوبية لجبل الأوراس، وجبال القبائل. وباعتبار أن إنتاج بسكرة من زيت الزيتون قليل، فهي يأتيها من جبال الأوراس، وتسوقه إلى الزيبان ووادي ريغ وورقلة.

ينما إنتاج القبائل من الزيتون فهو يمتد من قسنطينة شرقا إلى شرشال غربا. ويسوق جزء من زيت الزيتون في أسواق مدينة الجزائر، ليصدر إلى مرسيليا، ومنها إلى باريس

2- **أقمشة الصوف** : (ص 216-220)

ينتج الجنوب الجزائري : البرنوس، والحايك، والجلابة، والزرابي، ولكن يبقى إنتاجه قليل الفعالية بالنسبة لإنتاج تونس، والمناطق الشمالية.

3- **التمور والنخيل** : (ص220-228)

تنتج التمور في البيئات الصحراوية المناسبة لها، ويكثر إنتاجها لاسيما في واحات توات، وتيديكلت، والأغواط، ووادي ميزاب، وورقلة، وتقرت، وتماسين، والزيبان، ووادي سوف.

وبينما تتغذى كل مناطق الجزائر من هذه التمور، فجزء كبير منها يصدر إلى أوربا

وفي مناطق النخيل يعصر من قلب النخلة اللاقمي، وهو شراب مطلوب جدا، وتستعمل أخشاب النخيل في سقف البيوت، كما تستعمل أيضا للتدفئة أيضا وأغراض أخرى.

1- **الحبوب** : (ص 228-230)

تعتبر سهول الفيض بالزاب، وسهول الحضنة، المنطقة الوحيدة المخصصة لإنتاج الحبوب بالجزائر الجنوبية. ويُسوق الإنتاج في المناطق المجاورة.

2- **البرود وغيره** : (ص 231...)

من أهم المناطق المنتجة للبرود في الجزائر الجنوبية : منطقة الزيبان وأولاد نائل، حيث توجد مناجم ملح البرود.

ويختم "كاريت" بترجمة المعطيات، والمعلومات التي أوردها في جداول منظمة ودقيقة.

خلاصة

من خلال تقارير الضباط، تمكنت فرنسا من مدّ الطرق بين مختلف المناطق، وربطت الجنوب الجزائري بالشمال والموانئ الساحلية، وذلك للهيمنة على الحركة التجارية، والاستفادة من الثروات.

الهوامش :

1- La collection Exploration scientifique de l'Algérie

Exploration scientifique de l'Algérie pendant les années 1840, 1841, 1842, , publiée par ordre du gouvernement et avec le concours d'une commission académique , Paris : Impr. royale, 1844-1867, In-4 °, in-fol. et gr. in-fol.39 vols.

La collection comprend 39 volumes publiés entre 1844 et 1867, à partir de matériaux collectés pour l'essentiel entre 1840 et 1842. Elle est divisée en cinq séries :

- Sciences historiques et géographiques (16 vols.) ;
- Sciences médicales (2 vols.) ;
- Physique générale (2 vols.) ;
- Sciences physiques. Zoologie. Botanique. Géologie (16 vols.)
- Archéologie et Beaux-Arts (3 vols.).

2- Carette, E. Du commerce de l'Algerie avec l'Afrique centrale et les etats barbaresques : reponse a la note de M. Jules de Lasteyrie, depute, membre de la commission des credits supplementaires, sur le commerce du Soudan / par E. Carette A. Guyot, Paris : 1844

3- Carette, E. Etude des routes suivies par les arabes, dans la partie méridionale de l'Algérie et de la Régence de Tunis. Imprimerie royale ,Paris. 1844

4- Carette, E. Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie méridionale, Suivies d'une notice géographique sur une partie de l'Afrique Septentrionale, par E. Renou. Imprimerie royale, Paris- 1844